المحاضرة الرابعة: الأشكال السردية السابقة للرواية

تمهيد

الرواية تشكيل للحياة ويعتمد هذا التشكيل على أحداث الناس من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه هذه الأحداث وتصل في النهاية إلى نتيجة اجتماعيّة أو سياسيّة أو فلسفيّة و ...

حاجة الإنسان إلى رواية الأحداث التي تقع له ودفع الآخرين إلى مشاركتها وانتقال تجاربه وأحاسيسه بالآخرين تعد من الحاجات الفطرية للإنسان وهو ينتقل هذه الحاجة إلى عالم الخارج بطرق مختلفة، وكان أكملها رواية الأحداث عن طريق اللغة.

رواية الأحداث في بداية الأمر ظهرت بالأشكال القصيصة المحددة في الأحداث والشمول والتصوير وفي الموضوعات الخياليّة والوهميّة ثم برزت بشكل القصة الطويلة بصفة غير المحددة فى الشمول والأحداث وكانت موضوعاتها غير الواقعية على أساس أمور غيبيّة وهميّة لإرضاء قرائها ثم تميل إلى الحديث عن وقائع الحياة لعلاج الواقع الإنساني والنفسي والاجتماعي.

إنّ الرواية العربية المعاصرة متأثرة بالروايات الغربية بنحو كبير، فى الحقيقة تأثر الأدباء العرب بعد اتصالهم بأوروبا عن القصص الغربي وكان رائدهم هو، "رفاعة الطهطاوي" الذي صدرت روايته باسم "تلخيص الإبريز" وبعده "فرج أنطون" و"المويلحي" و"حافظ إبراهيم" و... ، الذين كانوا السباقين فيي كتابة هذا الفن.

وأما الجيل الثاني الذي ظهر في مجال كتابة الرواية فى البلاد العربية خاصة فى مصر فيمثله "طه حسين" و "جرجى زيدان" و"محمود تيمور" و"توفيق الحكيم" و"محمد حسين هيكل" و"نجيب محفوظ"... وبعدهم "عبدالرّحمن الشّرقاوي" و"صالح مرسي" و...، الذين قد سعوا في تطور الرواية العربية حتى وصلت إلى قمتها في العصر المعاصر.

النثر وبدايته في الأدب العربي

قد ذهب مؤرخو الأدب في تحديد تاريخ ظهور النثر الفني ...، وقال بعضهم إنّه ظهر قبل القرآن بقليل وصاحب ظهور القرآن، ثم نما وازدهر أن أُقرّه عبد الحميد الكاتب وابن المقفّع وقال البعض الآخر إنّ النثر الفنّي لم يعرف عند العرب إلا مع عبد الحميد وابن المقفّع.

ينقسم النثر إلى:

أ-الخطابة

هذا اللون من ألوان النثر، فقد كان من أهم وسائل تنمية الوعي وإنضاجه، كما كان من أهم وسائل التعبير عن الدعوات الإصلاحيّة والسياسة والاجتماع

ب-التوقيعات

التوقيعات عبارات موجزة كان يكتبها الخليفة أو الموالي أو عمالّها في أسفل الشكاوى والمظالم، أو المطالب والحاجات ... وكانت هذه التوقيعات عناية في البلاغة والإيجاز.

ج-الرسائل

أخذت الكتابة تنتشر شيئاً فشياً بعد ظهور الإسلام، لامتداد سلطان العرب وحاجة الخلفاء والولاة ورؤساء الأحزاب إلى الاتصال يهتمهم أمرهم، فإنّ أكثر مصالح الدولة واختلاف الآراء في هذه المصالح وظهور التنافس بين الأحزاب دعت إلى الاهتمام بالكتابة ... وتعدّدت الرسائل الدينيّة والسياسيّة.

حينما امتزج سلطان العرب بغيرهم من الشعوب المختلفة، وتعدّدت فنون الكتابة كالمقالات والمناظرات والقصص والحكايات.

القصة وانواعها في الأدب الجاهلي

القصة هي «الفن الذي نعرفه اليوم بهذا الاسم بين الأجناس الأدبية قد أطلقها العرب على عدّة الأشياء وأطلقوا أسماء هذه الأشياء عليها وهي الحديث والخبر والسمر والخرافة »

و«تضمنت قصص الجاهليّة قصصاً فنية وأسطوريّة وواقعيّة، تصور معارك العرب وحروبهم وأساطيرهم وتروي أخبارهم وسير ملوكهم وتنتقل عن الأمم المجاورة لهم وعن الشعوب التي اتصلوا بها ... وامتزج كل هذا بالقصص العربية» .

أ-أيام العرب

تدور حول الوقائع الحربيّة التي وقعت في الجاهليّة بين القبائل، كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار والكلاب وبين العرب والأمم الأخرى كيوم ذي قار ... وكانت هذه القصص موضوع العرب في سمرهم في جاهليّتهم وفي إسلامهم.

ب-أحاديث الهوى

وهي نوع من قصص العرب أخذوه من الأمم الأخرى وصاغوه في قالب يتفق ذوقهم، ثم نما الفن القصصي العربي مع الفتح الإسلامي وتقدم مع اتصال العرب بالشعوب الأخرى وتحركهم عبر

البحار والمحيطات والقارات، وامتزج الثقافة العربية بالثقافات الأجنبيّة والمعارف الواقعيّة والعلميّة التي اكتسبها العرب في رحلاتهم التجارية والحربية والثقافيّة والدينيّة.

القصة الفنية في الأدب العربي قبل العصر الحديث

لم يكن للقصة قبل العصر الحديث شأن يذكر، بل كان لها مفهوم خاص، لم ينهض بها، ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعيّة وإنسانيّة ولابد أنّه كانت للعرب حكايات يتلهون بها ويسمرون ولو عددنا مثل هذه الحكايات قصصاً، لكانت القصة أقدم صورة للأدب في العالم، لأنّ كل الشعوب الفطريّة تسمر على هذا النحو البدائي، ولكن مثل هذه القصص إذا كانت لها دلالة شعبيّة، فليست لها قيمة فنيّة حتى تعد جنساً أدبياً.

وإنّ عيون الأدب العربي التي تمت بصلة للقصة في فنها وغرضها هي قسمان: المترجم الدخيل والعربي الأصيل ونذكر من النوع الأول، "كليلة ودمنة"، ثم "ألف ليلة وليلة" ومن النوع الثاني نعرف "المقامات" و"رسالة الغفران" و "حي بن يقظان."

النوع الأول:

أ-كليلة ودمنة

هو كتاب وضع على ألسنة البهائم والطير حوى تعاليم أخلاقية، موجّهة أولاً إلى الحكام ... لقد اختلف المؤرخون في أصل كتاب كليلة ودمنة، فذهب بعضهم إلى أنّ ابن المقفّع وضعه ... وقيل إنّه لم يضعه، وإنمّا كان بالفارسية فنقله إلى العربية.

ب-ألف ليلة وليلة

إنّ قصص، "ألف ليلة وليلة" مدوّنة في عصور مختلفة، ومن المقطوع به إنّ الكتاب معروف بين المسلمين قبل منتصف القرن العاشر الميلادي، وفي الكتاب قصص شعبيّة متأثرة بآداب شتى على أنّه يحتمل أن يكون في بعض قصص، ألف ليلة وليلة، تأثير يوناني.

النوع الثاني

أ-المقامة

المقامة في معناها الأصلي، "المجلس" ثم أطلقت على ما يحكي في المجلس، وهي قصة قصيرة تشتمل على مغامرات تروى في شبه حوار درامي، يقوم بحكايتها راو عن بطل شجاع مقدام، يقتحم الأخطار وقد يكون ناقداً اجتماعيّاً أو سياسيّاً أو فقيهاً في اللغة والدين... و"بديع الزمان الهمذاني" المتوفي عام 318 هـ، أول من ابتكر هذا النوع من المقامات ... وبعد بديع الزمان جاء "الحريري" في القرن السادس الهجري.

ب–رسالة الغفران

التي ألّفها، "أبو العلاء المعري" المتوفي عام (441 هـ، 1059 م)، فهي رحلة تخيلها أبو العلاء في الجنة، وفي الموقف وفي النار، ليحلّ في عالم خياله مسائل ومشكلات ضاق بها في عالم واقعه، من العقاب والثواب والغفران أو عدم الغفران، مع كثير من المسائل الأدبيّة واللغويّة التي يوردها مورد الساخر تارةً والناقد اللغوي المتبحر تارةً أخرى.

ج–قصة حي بن يقظان

قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل (110 هـ، 1886 م) وموجز القصة أنّ في جزيرة مهجورة من جزر الهند دون خط الاستواء نشأ طفل لا يعرف أباً ولا أماً، يسمى حي بن يقظان، فربّته غزالة حسبته ولدها المفقود ... وفي قصة حي بن يقظان جوانب نضج قصصي في الشرح والتبرير والإقناع ...وعدها كثير من النقاد خير قصة في العصور الوسطى.

المراجع:

1. **القصة والرواية،عزيزة، مريدن، دار الفكر، بيروت، 1980م.**
2. **النقد الأدبي الحديث، محمد، غنيمي هلال، دارالعودة، بيروت، 1987م.**
3. **اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، السعيد، بيومي الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982م**